١٢ تحريم الظلم

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون : حديثنا معكم اليوم عن (**الظلم وخطورته**).

الظلم في اللغة: النقص ومنه قوله تعالى:﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا

بِهَا ۖ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ (الأنبياء : ٤٧) ، وقال تعالى عن صاحب الجنتين: ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴾ (الكهف : ٣٣).

والظلم : وضع الشي في غير محله باتفاق أئمة اللغة.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الظلم: هو التصرف في ما لا يملك ابن آدام[١].

ولقد نزه الله نفسه عن الظلم وحرمه على نفسه ، وجعله بين العباد محرمًا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت : ٤٦) وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء : ٤٠) وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (يونس : ٤٤) وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(آل عمران : ١٠٨).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (ق : ٤٦) .

وفي صحيح مسلم[٢] عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، فيما روى عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنه قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا**» .

وإن من أخطاء الناس قول بعضهم- الله يظلم من ظلمني - ففيه نسبة الظلم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، والله قد نزه نفسه عن الظلم وحرمه على نفسه كما سبق في هذه الأدلة.

---

(١) نزهة الأعين النواظر ص(٤٢٦).
(٢) مسلم برقم (٢٥٧٧).

والظلم على ثلاثة أقسام:

١- ظلم بين الإنسان وبين ربه.

٢- ظلم بينه وبين نفسه.

٣- ظلم بينه وبين الناس.

ففي مُسند الطيالسي [١] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : « **الظلم ثلاثة: فظلم لا يتركه الله، وظلم يغفر، وظلم لا يغفر، فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك لا يغفره الله، وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد فيما بينه وبين ربه، وأما الذي لا يترك فظلم العباد ، فيقتص الله بعضهم من بعض** » .

قال تعالى : ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (ق : ٢٩).

القسم الأول: الكفر بالله :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (يونس : ١٠٦) ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (البقرة : ٢٥٤)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(لقمان : ١٣).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام : ٨٢).

---

(١) مُسند الطيالسي برقم (٢٢٢٣) الصحيحة برقم (١٩٢٧).

وأما القسم الثاني : فظلم العبد لنفسه :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وظلمه لنفسه يكون بترك واجب كما يكون بفعل محرم(١).

فإذا دنس العبد نفسه ولوثها بالمعاص فقد ظلمها ، والأدلة على هذا كثيرة جدًا ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء : ١١٠) .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(النحل:١١٨)،وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(آل عمران: ١٣٥).

وقال تعالى عن أبي البشر وزوجته عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (الأعراف : ٢٣).

وقال تعالى عن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (القصص : ١٦).

وقال تعالى عن نبيه يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(الأنبياء : ٨٧).

وقال تعالى عن ملكة سبإ: ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (النمل : ٤٤).

(١) مجموع الفتاوى ج١١(٦٩٢).

وروى الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما[١] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبي ﷺ: يا رسول الله، علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: «**قُل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك إنك أنت الغفور الرحيم**».

وفي صحيح مسلم[٢] عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ، أنه كان إذا قام إلى الصلاة، قال: «**وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين ، أنت ربي، وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعًا**».

إخوة الإيمان : ولقد سمى الله كثيرًا من الذنوب ظلمًا ، فمن وقع في ذنب من الذنوب فقد صار ظالمًا لنفسه ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾ (الطلاق : ١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(البقرة: ٢٢٩).

وقد سمى السرقة ظلمًا فمن سرق فإنه من الظالمين ، قال جل ذكره في كتابه المجيد: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (المائدة: ٣٨ – ٣٩).أي بعد سرقته.

وقال تعالى إخبارًا عن إخوة يوسف: ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (يوسف : ٧٣ – ٧٥) ، أي السارقين.

(١) البخاري برقم (٨٣٤) ومسلم برقم (٢٧٠٥).
(٢) مسلم برقم (٧٧١).

والمرابي ظالم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ (البقرة : ٢٧٨-٢٧٩).

وقاتل نفسه من الظالمين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (النساء : ٢٩-٣٠) .

والذي يحكم بغير ما أنزل الله ظالم ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (المائدة : ٤٥).

والذي يجحد آيات الله من الظالمين،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾(الأنعام : ٣٣).

والذي يوالي أعداء الإسلام من اليهود والنصارى،والمشركين من الظالمين ،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(المائدة: ١٥).

وقال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (التوبة : ٢٣).

فكن حذرًا يا من أكرمك الله بهذا الدين ، وأعزك به من مخططات الأعداء وأساليبهم ومكرهم ، والركون إليهم وحبتهم وطاعتهم ، فإن ذلك يفضي إلى عذاب الله ، قال الله تعالى:﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ

فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ (هود : ١١٣).

القسم الثالث: ظلم العبد لغيره وهو على أقسام :

أن يظلمه في دمه أو يظلمه في ماله أو يظلمه في عرضه ،أو يصدر منه ظلم للحيوانات ، ففي الصحيحين[١] عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ : « **إن دماءكم وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا، في شهركم هذا** ».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه**» رواه مسلم[٢] .

وأما الظلم للحيوانات ففي الصحيحين[٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ «**دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**» ومعنى خشاش الأرض: أي حشرات الأرض.

وعن سهل ابن الحنظلية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: مر رسول الله ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه، فقال: «اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة» رواه أبو داود[٤] .

عن عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم، فأسر إلي حديثًا لا أحدث به أحدًا الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفًا، أو حائش نخل، قال: فدخل حائطًا لرجل

(١) البخاري برقم (١٠٥) ومسلم برقم (١٦٧٩).
(٢) مسلم برقم (٢٥٦٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) البخاري برقم (٣٣١٨) ومسلم برقم (٢٦١٩).
(٤)أبو داود برقم (٢٥٤٨) وحسنه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الجامع الصحيح ج٢(١٩٩).

الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حن وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه فسكت، فقال: «**من رب هذا الجمل، لمن هذا الجمل؟**»، فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله. فقال: «**أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟، فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه**»[١].

ومعنى ذفراه: أي ، خلف أذنيه. تدئبه: أي ، تسوقه سوقًا شديدًا.

أيها المسلمون : الظلم مرتعه وخيم وخطير وعظيم ، ولقد وردت نصوص عظيمة وأدلة كثيرة تدل على خطورته وشناعته ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾ (الشعراء : ٢٢٧).

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : في تفسير هذه الآية ، والصحيح أن هذا الآية في كل ظالم.[٢]

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴾ (الكهف : ٢٩) ومعنى قوله: ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا ﴾ أي هيأنا وأرصدنا.

وقال تعالى : ﴿ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴾ (الإنسان : ٣١).

ومعنى أليما: أي موجعًا للقلب والأبدان.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا

(١) سُنن أبي داود برقم (٢٥٤٩) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ .
(٢) تفسير ابن كثير ج٥(٦٥٩).

لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾ (النساء : ١٦٨ -١٦٩).

ولقد بين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن الظلم سبب ومانع من الوصول إلى الهداية كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الصف : ٧).

وأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن لعنته ومقته للظالمين فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(الأعراف : ٤٤ -٤٥).

وبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في مواضع آخر أن الظالم هو من يظلم الناس قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الشورى : ٤٠ -٤٢).

والظلم يقصم القرى ويهلك الديار ، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾(الكهف : ٥٩).

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ (الأنبياء:١١-١٥).

قال الإمام الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١] في قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا ﴾ صل القصم: أفظع الكسر؛ لأنه الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء، بخلاف الفصم - بالفاء - فهو كسر لا يبين تلاؤم الأجزاء بالكلية. والمراد بالقصم في الآية: الإهلاك الشديد.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (هود : ١٠٠ -١٠٣).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ (الحج : ٤٥).

قال بعض السلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إذا مررت بأرض قد خربت ، وبأهلها قد تفرقوا ، وبأس قد تشعب ، وببهاء قد تبدد ، وبمال قد فني ، وبصحة قد ذهبت فاعلم أنها نتيجة الظلم.

وقال تعالى عن قوم صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (النمل : ٥٠ -٥٢).

أمة الإسلام : إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أعد أشد العذاب للظالمين ، وأخبرنا

(١) تفسير أضواء البيان ج٤(٦٠٩).

جَلَّجَلَالُهُ أنهم في عذاب سرمدي لانهاية له ، فقال جل ذكره :﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ الشورى : ٤٥).

إن الظالمين حينما يرون العذاب يتمنون العودة والرجعة إلى الدنيا ، ليتوبوا إلى الله مما وقعوا فيه من الظلم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ (الشورى : ٤٤ -٤٥).

فلا إله إلا الله ما أشد تأسفهم !! ولا إله إلا الله ما أعظم حسرتهم ! وصدق الله القائل: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ (غافر : ٥٢) ، ليس لهم نصير ولا شفيع ولا ولي قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (غافر : ١٨).

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (الشورى : ٨).

فيا عباد الله : اتقوا الله واحذروا الظلم فعاقبته سيئة ، قال بعض العلماء[١] من جمع مالًا بظلم أورثه الله فقرًا بغير ظلم.[٢].

وقيل أن ولدًا ليحيى البرمكي الوزير قال له وهم في القيود : يا أبه ، بعد الأمر والنهي والأموال صرنا إلى هذا؟ قال يا بني دعوة مظلوم غفلنا عنها لم يغفل الله عنها.

(١) سير أعلام النبلاء ج٨(٣٦).
(٢) سير أعلام النبلاء ج٩(٦٠ -٦١).

وصدق الله ربنا القائل في كتابه الكريم: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (إبراهيم: ٤٢- ٤٥).

وقال بعض السلف: إذا دعتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم فذكر قدرة الله عليك[1].

إذا جار الأمير وكاتباه وقاضي الأرض داهن في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء

وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

(١) سير أعلام النبلاء ج٥(١٣١).

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين أما بعد:

فيا أيها المؤمنون : الظلم أنواعه كثيرة وصوره عديدة: قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الظلم يكون بأكل أموال الناس وأخذها ظلمًا... وظلم الناس بالضرب والشتم والتعدي أو الاستطالة على الضعفاء ، وغيره مما فيه ظلم للناس.[١].

معاشر المؤمنين ، ما أكثر الأحاديث الواردة في تحريم الظلم وفي عقوبة الظالمين ، وها انا أورد لكم ما تيسر منها بمشئة الله تعالى: ففي صحيح مسلم [٢] عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ ، قال: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»

و عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «لَتُؤَدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجَلْحَاءِ، من الشاة القَرْنَاءِ»[٣].

وعن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**» **قال: ثم قرأ:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾(هود : ١٠٢).رواه البخاري ومسلم[٤].

(١) الكبائر ص(١٤١).
(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٧٨).
(٣) صحيح مسلم برقم (٢٥٨٢).
(٤) البخاري برقم (٤٦٨٦) ومسلم برقم (٢٥٨٣).

وعن سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ظلم من الأرض شيئًا طوقه من سبع أرضين» رواه البخاري ومسلم[١].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار**» رواه مسلم [٢].

والنبي ﷺ يقول لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «واتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب» رواه البخاري ومسلم [٣].

وفي مُسند الإمام أحمد[٤] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجرًا ففجوره على نفسه**».

ولله در القائل:

أد الأمانة والخيانة فاجتنب ... واعدل ولا تظلم يطيب المكسبُ

واحذر من المظلوم سهمًا صائبًا ... واعلم بأن دعاءه لا يحجب

وقال آخر:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا ... فالظلم ترجع عقباه إلى الندم

---

(١) البخاري برقم (٢٤٥٢) ومسلم برقم (١٦١٠).
(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٨١).
(٣) البخاري برقم (٢٤٤٨) ومسلم برقم (١٩) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٤) أحمد برقم (٨٧٩٥) والسلسلة الصحيحة برقم (٧٦٧).

تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقال آخر :

أما والله إن الظلم شؤم ولا يزال المسيء هو الظلوم
إلى الديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم
ستعلم في الحساب إذا التقينا غدًا عند المليك من الملوم

وعقوق الوالدين وقطيعة الأرحام وسوء تربية البنين من الظلم المؤاخذ عليه صاحبه في الدينا والآخرة.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهندِ

والجزاء من جنس العمل ، وكما تدين تدان ، ومن ظلم ظُلم ، ومن أساء ندم ومن رحم رحم.

أيها المؤمنون : إن الظلم سبب في نزول النكبات والكوارث والويلات، وحصول ضيق العيش والأزمات على المجتمعات ، والظلم من أسباب الدمار ، والخراب بالظلم تزول النعم وتظهر الفتن وتحل النقم.

قال بعض السلف : ما نزل بلاء الإ بذنب وما رفع إلا بتوبة.

ولله در من قال:

يأيها الظلم في فعله فالظلم مردود على من ظلم
إلى متى أنت وحتى متى تشكو المصيبات وتنسى النعم

اللهم احفظنا بالإسلام قائمين ، واحفظنا بالإسلام قاعدين ، واحفظنا بالإسلام راقدين ، ولا تشمت بنا الأعداء ولا الحاسدين.

اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين ، رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما ، ارحمنا برحمة من عندك تغنينا عن رحمة من سواك، اللهم ارفع الظلم عن المظلومين ، اللهم فك أسرهم واكشف كربهم ، واجعل لهم من كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا ، ومن كل بلاء عافية، والحمد لله رب العالمين.